

المبحث السادس عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج

لقد أشار الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كثير من أحاديثه إلى الفتن التي يتعرض لها المسلمون ، وبينها ، وبين أساليبها وآثارها ^(١) ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن من يتوقف على تاريخ المسلمين ليأخذ العجب حينما يقرأ هذه الفتن العظيمة التي ألت بالأمّة الإسلامية ، من صدر تاريخها وإلى يومنا هذا ، فلم تكد سنة من السنوات تخلو من فتنة عامة أو خاصة ، تترك آثاراً سلبية تعاني منها الأمّة فيما بعد .

ففي عصر الصحابة ومباشرة بعد استشهاد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ظهر قسم من تلك الفتن التي أشار إليها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وعجز خيرة الصحابة من إخماد تلك الفتنة ، ووصل دخانها إلى أبناء الصحابة ومن يليهم من التابعين ، وكان من آثار تلك الفتن المتلاحقة ظهور الخلافات الفكرية والعقدية ، ولا شك إن آثار تلك الفتن لم تقتصر على الزمن الذي وقعت فيه ، بل تعدت إلى العصور التالية ، بل يمكننا القول : إن معظم الفتن التي تعرض لها المسلمون بعد ذلك - حتى يومنا هذا - إنما هي أثر من آثار الفتنة الأولى .. وهكذا تلاحقت الفتن بعد ذلك كقطع الليل المظلم على الأمّة الإسلامية ، وبعد أن استطاع أعداء الأمّة من غزونا فكرياً حيث نشروا أفكاراً هدامة لتكون بديلة للإسلام ولاسيما

(١) للوقوف على أحداث وآثار الفتن يراجع أبواب الفتن من خلال كتب الصحاح والسنن ومن جميع طبقاتها ، كصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي ، وغيرها .

فكرة القومية العنصرية ونادى كل قوم بقوميته وسعى لها سعيها ، وجعلوا الوحدة الوطنية والقومية بديلاً للوحدة الإسلامية ، ثم تحزب كل قوم إلى أحزاب شتى ، استطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى أهدافهم ومقاصدهم التي طالما سعوا إليها بقوة النار والحديد ، فدعا الترك إلى قوميتهم الطورانية ، وعمل الفرس من أجل قوميتهم الفارسية ، ونادى العرب بالقومية العربية ، وناضل كل منهم في إطار قوميته الضيقة بل وتعصب لها ، فما كان من الكرد في خضم هذه الظروف سوى الدعوة إلى قوميتهم^(١) والمطالبة بحقوقهم المسلوبة من قبل إخوانهم في الدين من الترك والفرس والعرب ، الذين حرّموا على الكرد ما أحلوه لأنفسهم ، ولا ريب أن الصراع القومي والتعصب الممقوت لا يزالان يشكلان خطراً عظيماً على الأمة ، ولا يزال الأعداء يبذلون كل جهودهم لزرع الفتنة بين المسلمين ، في وقت تعيش الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها في سبات عميق يعمهم الجهل بمقاصد الشرع وأصوله ، فحل بهم ما حل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ويبدو أن الشعب الكردي لم ينبجُ من تلك الفتق التي أشار إليها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، بل ناله الحظ الأوفر منها على يد السلطات الحاكمة التي لم تقم له وزناً لا بالميزان الإسلامي ولا بالمعيار القانوني المتعارف عليه دولياً ، وكل ذلك بدعم وتحريض من دول استعمارية كبرى في مقدمتها بريطانيا ، ولعل مرد ذلك حب تلك الدول في الانتقام من الشعب الذي ينتسب إليه البطل الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي أذاق أجدادهم الصليبيين الأمرين !

قامت تلك الدول الاستعمارية بزعامة بريطانيا في بدايات القرن الميلادي المنصرم بتقسيم كردستان على عدة أقسام على أثر الحرب العالمية الأولى وذلك بموجب اتفاقية سايكس بيكو (البريطانية الفرنسية) الشهيرة سنة ١٩١٦ ، حيث ألحق كل قسم منها

(١) تؤكد الدراسات الحديثة أن دعوة الكرد إلى قوميتهم ومطالبتهم بتأسيس كيان قومي خاص لهم جاءت بعد الدعوات القومية لكل من الترك والعرب والفرس ، ولعلمهم أرادوا بذلك إنقاذ جنسهم من الذوبان في القوالب العنصرية المخطط بها .

بدولة قومية تعمل في سبيل مصالح عنصرها ولو على حساب العناصر الأخرى كالکرد .

وفتنة عمليات الأنفال في كردستان العراق لم تكن هي أول فتنة أصابت الكرد في العصر الحديث ، فالمطلع على تاريخ الكرد يعلم أن هذا الشعب المسلم والمسلم قد ابتلي في تاريخه بمصائب وفتن عديدة لاسيما بعد أن حكم من قبل أنظمة قومية وعنصرية كنظام البعث الذي حكم العراق أكثر من ثلاثة عقود ، وعمليات الأنفال التي قامت بها حكومة البعث كانت بحق فتنة عمياء تولاهها حكومة ظالمة ضد شعب مسلم له عمقه الإسلامي وتميز بجهوده الكبيرة في خدمة الإسلام والعلوم العربية ، وكانت لهذه العمليات أسباب ودوافع كما هو شأن كل فتنة أصابت المسلمين بغض النظر عن نوعية الأسباب الموجبة هل هي حق أم باطل ، وتسمية العمليات من قبل الحكومة العراقية بالأنفال ظلم وتجاوز على الشرع ، لأن الأنفال اسم سورة من سور القرآن الكريم كما لا يخفى ، وهو اسم جملة من الأحكام المتعلقة بأموال مسلوقة من الكفار نتيجة لمعارك تقع بين المسلمين والكفار .

والکرد لم يرتكبوا ما هو مخرج عن الملة حتى يستحقوا أن يعاقبوا بعمليات تسمى بالأنفال ، وكل ما فعلوه هو أنهم طلبوا حقوقاً مشروعة ضمن عراق موحد ، وكان من الممكن استجابة تلك الحقوق من قبل الحكومة العراقية دون أن تمس وحدة البلد أو مبادئ الدين ، وكان الكرد يشعرون دوماً أنهم يعيشون تحت الظلم والجور وعليه فقد رأوا أن الواجب عليهم هو دفع هذا الظلم وإن دفعهم هذا إلى الخروج على السلطان ، بل كانوا يرون أن دفعهم للظلم هو واجب شرعي عليهم ، كيف لا ، وقد أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وحرموا من أبسط حقوقهم الشرعية التي يقرها الإسلام ؟

ويلاحظ أن جميع الزعماء الذين قادوا الكرد إلى عهد قريب في سبيل نيلهم لحقوقهم المسلوقة كانوا من علماء الدين الذين درسوا في المساجد وتعلموا على المشايخ ، وهؤلاء أحسوا بواقع شعبهم الأليم ، وعلموا بسبب ثقافتهم الدينية حكم السكوت على الظلم فانتفضوا وقاموا بثورات عديدة ، وكان آخرهم الزعيم المعروف

(الملا مصطفى البارزاني ^(١)) الذي ظل يناشد العالم الإسلامي والمنظمات الدولية والحكومات العربية ^(٢) والعراقية منها خصوصاً من أجل معالجة القضية الكردية بطريقة سلمية وعادلة والحيلولة دون إراقة دماء المسلمين من الطرفين ، دون أن يجد أدناً صاغية !

وعمليات الأنفال تلك وقعت بعد حروب ومعارك طاحنة دامت عدة سنوات ابتداءً من أيلول عام ١٩٦١ عندما رفضت الحكومة العراقية تلبية مطالب الكرد وآثرت اللجوء إلى القوة ، فبدأت بحملة اعتقالات واسعة في صفوف أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان يقود الحركة التحررية الكردية برئاسة الملا مصطفى البارزاني ، ولأن البارزاني كان يشعر بخطورة اللجوء إلى العمليات العسكرية التي ستؤدي إلى إراقة الدماء من الطرفين فقد وجه مذكرة إلى الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم في (٣٠ / ٧ / ١٩٦١) أي قبل اندلاع الثورة الكردية بحوالي شهر أطلعها فيها على خطورة الوضع في كردستان العراق وذكره بضرورة تداركه قبل استفحال الأمر . وقد ظل يناشد العالم عموماً والعربي منه خصوصاً طوال سنوات الثورة المسلحة (من ١٩٦١ - ١٩٧٥) ليقوموا بدور الوساطة والصلح بين الطرفين المتنازعين عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ ^(٣) .

(١) ويبدو واضحاً من لقبه (ملا) أنه كان عالماً دينياً ، حيث أن كلمة (ملا) تطلق من قبل الكرد على المتخصص في العلوم الشرعية .

(٢) ينظر - على سبيل المثال - الملحق رقم () نص كتاب رئاسة الديوان الملكي الهاشمي المؤرخ في (٦ / ٤ / ١٩٦٧) جواباً لرسالتين وجههما الملا مصطفى البارزاني إلى العاهل الأردني الملك حسين بن طلال ، وينظر كذلك الملحق رقم () للإطلاع على صورة رسالة الملك حسين الجوابية لرسالة الملا مصطفى البارزاني والمؤرخة في (١٥ / ٣ / ١٩٧٢) .

(٣) دون السيد مسعود البارزاني جملة من المراسلات والوثائق في هذا المجال في كتابه (البارزاني والحركة التحررية الكردية) على شكل ملاحق ، وهي تؤكد أن الكرد وقادتهم كانوا دوماً طلاب الحق لا دعاة شر ، فلتراجع .

وبعد انتهاء عهد عبد الكريم قاسم ومجيء خلفه (عبد السلام عارف) ثم (عبد الرحمن عارف) إلى الحكم ودخول البارزاني معهما في مفاوضات متتالية تبين أن الحكومة لم تكن جادة في حل المسألة الكردية حلاً سلمياً ، ومما يروى في هذا الصدد أن الرئيس عبد الرحمن عارف سأل البارزاني مرة : ماذا تريد منا يا أبا إدريس ؟ وكان الرئيس قد أهدي للبارزاني قبيل ذلك مصحفاً شريفاً ، فتناول البارزاني المصحف فقبله ووضع على رأسه وقال له : لا أريد منكم شيئاً سوى أن تحكموا بهذا القرآن وتجعلونه دستوراً للعراق ، فقال الرئيس : هذا شيء صعب ولا نقدر عليه لأن العراق مزيج من ديانات ومذاهب متعددة ، فقال البارزاني : إذن ما دام الأمر كذلك فنحن نريد ما تريدونه لأنفسكم^(١) .

وبعد وصول حومة البعث إلى الحكم سنة ١٩٦٨ برئاسة أحمد حسن البكر دخل الطرف الكردي معها في مفاوضات نتجت عن إصدار بيان آذار سنة ١٩٧١ ، ولكن الحكومة نكثت عهدها ، وأسفرت عن سوء نيتها حيث دبرت عملية استهدفت حياة الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني ، وذلك عندما خدعت عدداً من علماء الدين وأوهمتهم أنها تريد إيفادهم إلى البارزاني لإجراء مباحثات معه حقناً لدماء المسلمين ، وأرسلت معهم عدداً من ضباط المخابرات الذين قدموا إلى الوفد الزائر في اللحظة الأخيرة قبل دخولهم على البارزاني آلة تسجيل تحتوي على مواد متفجرة ، ولما كان البارزاني يقدر علماء الدين فقد دخلوا عليه دون تفتيش ، وقد فجرت آلة التسجيل فعلاً في الداخل وقتل جميع أعضاء الوفد الزائر البالغ (١١) شخصاً مع اثنين من حراس البارزاني الذي قدّر له النجاة بأعجوبة .

كل ذلك دل على أن الحكومات العراقية المتعاقبة ولاسيما حكومة البعث لم تكن جادة في نواياها مع الكرد ، وكانت تهدف إلى كسب الوقت لضرب الكرد فيما بعد ، ومن ثم صهرهم في القالب الذي وضعته الحكومة لهم .. وعندما كانت الأمور تسير

(١) ينظر : البارزاني والحركة التحررية الكردية ، لمسعود البارزاني ، الجزء الثالث ، الملحق السابع ،

نحو التوتر واحتمالات العودة إلى الاقتتال كانت تلوح في الأفق فاتح البارزاني المؤتمر الإسلامي المنعقد في شباط سنة ١٩٧٤ ورجا من أعضاء المؤتمر بذل مساعيهم لدى الحكومة العراقية كي تنفذ وعودها المقطوعة للشعب الكردي ، وختم البارزاني رسالته الموجهة إلى المؤتمر بالآية الكريمة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

ولكن رجاء الكرد لم يلقَ هذه المرة أيضاً أذناً صاغية فاندلعت المعارك سنة كاملة انتهت بالنكسة التي أصابت الكرد بعد أن تكالبت عليهم قوى عالمية وإقليمية ، وبعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية على خلفية اتفاقية الجزائر التي أنهت الثورة الكردية المسلحة نشط الكرد مرة أخرى للمطالبة بحقوقهم والقيام بعمليات عسكرية (٢) ، الشيء الذي دفع الحكومة العراقية إلى اتهامهم بالخيانة والعزم على اجتثاث الحركة الكردية من جزورها ، فكان أن بدأت بالقيام بعمليات إبادة سمّتها بالأنفال ، واستعملت فيها أسلحة محرمة دينياً ودولياً ، دون أن تفرق بين المقاتلين أو المدنيين ، وأسفرت هذه العمليات التي انتهت في (٦ / ٩ / ١٩٨٨ م) عن تدمير (٤٥٠٠) قرية ومسحها عن الوجود ، وتركت هذه الفتنة وراءها نتائج وآثاراً وخيمة على الشعب العراقي عموماً والكردية منه خصوصاً ، تلك الآثار التي تحتاج إزالتها إلى وقت طويل وجهود عظيمة ، لأن هذه الفتنة فتحت جروحاً عميقة في الجسم الكردي لا بد من معالجتها من قبل السياسة العراقيين من جهة ومن قبل علماء الدين المصلحين من جهة أخرى ، وإلا فمن المتوقع أن تعشعش آثار تلك الفتنة في أذهان الشعب الكردي وتنتج فتناً وخلافات أخرى لا تحمد عقبها ، لأنه لا يمكن قصر تلك الآثار على زمن وقوعها أو الزمن الذي يعقبه ، كما هو ملاحظ في تاريخ الفتن التي وقعت في التاريخ ،

(١) سورة الحجرات ، الآية (١٠) .

(٢) في الحقيقة بدأ الكرد بعملياتهم العسكرية بعد نكسة ١٩٧٥ بأقل من سنة وذلك في أيار ١٩٧٦ ، ولكن العمليات نشطت أكثر بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية .

ولا بد من مصالحة وطنية شاملة تعم جميع أطراف الشعب العراقي ، وكما ناشدها السيد مسعود البارزاني رئيس إقليم كردستان العراق مرات عديدة وفي مناسبات مختلفة .

ومما سبق تبين لنا الحقائق التالية :

١ - إن الفتن يجلب بعضها بعضاً وخصوصاً إذا لم تعالج في حينها ، وإن آثار الفتن لا تنحصر في زمن وقوعها ، بل تسري وتتعدى إلى أجيال متعاقبة .

٢ - إن القيادة الكردية في كردستان العراق خلال ثورتها المسلحة بدءاً من سنة ١٩٦١ وحتى سقوط حكومة البعث بيد القوات المتحالفة سنة ٢٠٠٣ ، كانت جادة في الحصول على حقوقها بطرق سلمية وعن طريق الحوار المباشر ، وكانت ترجح السلام واللجوء إلى المفاوضات كلما أعلنت الحكومة استعدادها لذلك .

٣ - كانت الحكومة العراقية تقرر مبدئياً حقوق الكرد وتعترف بها ، لاسيما في الأوقات الحرجة التي كانت تمر بها ، ولكنها كانت تعود لتتهاون في تطبيق تلك الحقوق وتباطأ ، وتغير ما تشاء ، كما حدث مع اتفاقية (١١ آذار ١٩٧١) .

٤ - بما أن القيادة الكردية كانت تقبل بمبدأ المفاوضات ، وكانت الحكومة تقرر مبدئياً بمطالب تلك القيادة كان لزاماً على الحكومة تطبيق تلك المطالب حقناً لدماء المسلمين واستجابة للحق .

٥ - إن تسمية الإبادة الجماعية للكرد عام (١٩٨٨) بالأنفال ظلم وتعدٍ على الإسلام وعلى الشعب الكردي كذلك ، لأن إقليم كردستان هو دار الإسلام وأهله مسلمون ، والأنفال لا تقام إلا على الكفار ، وكثيراً ما كانت حكومة البعث تستعمل مثل هذه التسميات في حروبها وعملياتها ، كتسميتها لحربها مع إيران بالقادسية الثانية أو قادسية صدام ، وتسميتها لبعض عملياتها ضد الكرد بعملية توكلنا على الله أو محمد رسول الله ، كما كانت تسمي معتقلاتها التي يزج فيها الأبرياء بأسماء بعض الصحابة كخالد بن الوليد أو سعد بن أبي وقاص وغيرهما ، ويبدو أنه كانت للحكومة غاية سيئة وراء هذه التسميات إذ كانت تدفع بالعامية إلى التنفير من تلك الأسماء المباركة من

جهة ، ومن جهة أخرى كانت تريد التمويه على المسلمين خارج العراق بأنها حكومة مجاهدة ومؤمنة تقدر الصحابة وتجاهد في سبيل الدين !

٦ - كانت عمليات الأنفال التي قامت بها الحكومة العراقية ضد الكرد سنة ١٩٨٨ ، والتي استعملت فيها أسلحة محرمة ، وأهلك فيها الحرث والنسل ، كانت من الفتن العظيمة لأنها أدت إلى إهدار دم المسلمين واستحلال أموالهم بدون وجه حق .

وللوقوف على عظم وخطورة فتنة الأنفال ، وبيان واقعها الأليم الذي خفي على السواد الأعظم من المسلمين خارج العراق بسبب التعقيم الكبير الذي لفتت الحكومة العراقية العمليات بها حينها ، خصصت الباب الثاني من هذه الرسالة لذكر تفاصيل تلك العمليات وبيان نتائجها وآثارها السلبية المتعدد .

الباب الثاني **حملات الأنفال في كردستان العراق**

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : الكرد وتشكيل الدولة العراقية

**الفصل الثاني : حملات الأنفال في كردستان
العراق**

الفصل الثالث : مرحلة ما بعد الأنفال

الفصل الرابع : نتائج وأثار عمليات الأنفال

